جهود عرفان عبد الحميد في دراسة الأديان: النصرانية أنموذجا (Contributions of ‘Irfān ‘Abd al-Ḥamīd in comparative study of religion: Christianity as a case study)

Sekou Toure*

Wan Mohd Azam Bin Mohd Amin**

Awad Al-Khalaf***

Abstract

Muslim scholars have done great contribution to the field of Comparative Religion in Islamic heritage. In contemporary era numbers of Muslim experts appear in the field of studying religions, names such as Aḥmad Shalabī, Abū Zahrah, al-A‘zamī, al Fārūqī and ‘Irfān ‘Abd al- Ḥamīd Faṭṭāḥ are among them. This paper aims at shading light to the efforts, methods and contributions of al-marḥūm Faṭṭāḥ’s in his work of studying Christianity and other religions. A qualitative methodology in which the critical textual analysis approach has been used in studying materials related to Faṭṭāḥ. Findings indicate that Faṭṭāḥ presented Christian faith in consistence with the historical development of Christianity..

Keywords: ‘Irfān, Christianity, Muslim scholars in comparative religion, Thematic.

ملخص البحث

واصل علماء المسلمين إنتاج الأعمال العلمية منذ فجر التأليف إلى يومنا هذا. من كبار من حمل شعلة دراسة الأديان حديثا أحمد شلبي، محمد أبو زهرة، الأعظمي، والفاروقي، وعرفان عبد الحميد. يجد المتتبع سيطرة فكر ما ومنهجية مغايرة على لغة كل كتاب من مؤلفات علماء المسلمين، وليس كتب عرفان عبد الحميد بمستثناة مما ذكر. فما أهم جهوده في بيان الأديان السماوية النصرانية خاصة، وما المنهج الذي اتبعه، وما حقيقة الموضوعية عند عرفان عبد الحميد في ذلك، وماذا يمايز كتاباته عن غيره من المعاصرين؟ سيسلك الباحث المنهج الاستقرائي

* Department of Theology, College of Shari’ah and Islamic Studies, Sharjah University, UAE.
Email: stoure@sharjah.ac.ae

** Department of Usuluddin & Comparative Religion, Kulliyyah of Islamic Revealed Knowledge & Human Sciences, International Islamic University Malaysia (IIUM) P.O.Box 10 50728 Kuala Lumpur, Email: wmazam@iium.edu.my

*** Department of Theology, college of Shari’ah and Islamic studies,
Sharjah University, UAE.. Email: alkhalf@sharjah.ac.ae

والتحليلي. لعله جدير بالذكر أن الباحث سيعتمد في الدراسة على كتابه: "النصرانية: نشأتها التاريخية وأصول عقائدها. ومن أهم نتائج البحث أن المرحوم عرفان عبد الحميد قدم جهداً علمياً في بيان عقائد النصارى، وربط أحداثها التاريخية بتطور الديانة النصرانية نفسها، وبيّن مدى أثر الاجتماع والتاريخ على الدين وتطوره، وملئ بذلك فراغ جهود علماء المسلمين المعاصرين في دراسة الأديان النصرانية خاصة، وبخاصة أنه انطلق من المنهجية التي بنيت عليها علم الأديان مؤخراً. ومن أهم نتائج البحث أن المنهج الظاهري والتاريخي هما السائدان في كتابته عن النصرانية، وأنه نموذج حي للموضوعية في دراسة الأديان، على أن ثمة فروقات في الأسلوب والمنهج والعرض بينه وبين غيره من العلماء المعاصرين في دراسة الأديان أحمد شلبي والفاروقي خاصة.

الكلمات المفتاحية: عرفان، المسيحية، علماء المسلمين في مقارنة الأديان، موضوعية

مقدمة

يجد المتتبع أن علماء الكلام المتخصصين في مسمى أصول الدين اهتموا بدراسة قضايا الإسلام ومنهجيّاته وأصوله، واهتموا إلى جانب ذلك بدراسة الأديان الأخرى؛ سماويّها ووضعيّها. ولعل سبب اهتمامهم راجع إلى باب: "بضدها تعرف الأشياء"، ناهيك عن الاهتمام القرآني بمصطلحات وبعض عقائد الأديان الأخرى.

يجد المدقق أن كثيراً من علماء المسلمين في التراث الإسلامي اهتموا بالأديان: البغدادية، والشهرستانية وابن حزم والرازي والغزالي وابن تيمية، وغيرهم. ومن كبار من حمل شعلة دراسة الأديان حديثاً أحمد شلبي، محمد أبو زهرة، الأعظمي، والفاروقي، ومن الذين اهتموا حديثاً بالفكر الإسلامي وأصول الدين والقضايا المتعلقة بها المرحوم عرفان عبد الحميد فتاح (2007). له في الفرق والعقيدة الإسلامية "دراسات في الفرق والعقائد الإسلامية" وله في علم الكلام "منهج المتكلمين: دراسة وتقييم" كما له كتاب في الاستشراق "المستشرقون والإسلام" وله حضور كبير في الفلسفة: "نشأة الفلسفة الصوفية وتطورها" "المدخل إلى معاني الفلسفة" و"الفلسفة الإسلامية: دراسة ونقد" وله كتاب في الفكر الإسلامي "دراسات في الفكر العربي الإسلامي". وألف بالأديان عموماً والأديان السماوية خصوصاً: "اليهودية: عرض تاريخي

والحركات الحديثة في اليهودية" "النصرانية: نشأتها وأصول عقائدها" "الفكر الإسلامي والدعوة إلى حوار الأديان" . القضية التي تطرح نفسها هي ما الفرق بين هذه الدراسات، وما أهم أسباب إعادة التأليف فيما كتب فيه كثيرا. تهدف هذه الورقة إلى الجواب عن هذا السؤال عبر دراسات جهود المرحوم عرفان عبد الحميد فتاح في دراسته للنصرانية، وذلك في كتابه: النصرانية: نشأتها وأصول عقائدها.

سبب تأليف كتاب النصرانية: نشأتها وأصول عقائدها:

لعل أول سؤال يتبادر إلى الذهن لدى دراسة جهود المرحوم في دراسة النصرانية هو لما أُلِفَ هذا الكتاب، وما الذي سعى إلى إضافته، ثم ما الذي يميز عمله هذا عن غيره من الأعمال المشابهة حول النصرانية في التراث الإسلامي وفي الفكر الإسلامي المعاصر؟ هدفَ المرحوم من تأليف الكتاب إلى تحقيق الآتي:

- 1- بيان أصول عقائد النصارى وتاريخ الديانة معتبرا أمرين: التركيز، والإيجاز.
 - 2- دراسة النصرانية بمنهج علمي وحيادي وموضوعي، بعيدا عن الجدل ومناهج الاحتجاج والنقض، أو الدفاع والتبرير.
 - 3- التأكيد بأن الدين في الأصل وضع إلهي معصوم من حيث الأصل.
- يفهم هذه الأهداف الثلاثة من مطلع كتابه، حيث قال رحمه الله:
- "هذا الكتاب دراسة مركزة وموجزة عن المسيحية: نشأتها التاريخية وأصول عقائدها، من وجهة نظر علمية تتسم بالحيادة والموضوعية تجاوزت قدر المستطاع مناهج الاحتجاج والنقض، أو الدفاع والتبرير، وهي تؤكد أيضا من وجهة نظر إيمانية أن الدين وضع إلهي

معصوم أصالة - على ما قد يطرأ عليه- ويضفي المؤمنون به عليه ألوانا من التحريف وصورا من الشذوذ تشوب نقاءه الإلهي.¹

4- ولعل المدقق يخرج بسبب رابع من أهداف تأليف الكتاب ودراسة النصرانية!

وهو ضرورة الاهتمام بعلم مقارنة الأديان في ظل الفكر العلماني أو

الإلحادي القائم، نتيجة التأثير بالنظرية العضوية التطورية الداروينية، والذي

أدى بدوره إلى ميلاد نظريات ومناهج غير علمية في بيان حقيقة الدين.

يحدد المتأمل أن هنا طبيعة الإشكال بين الأديان تكمن في دعوى الانفرادية بالحق، وليس ذلك فحسب بل ما يصاحبها من إقصاء الآخر، وما يؤدي إلى المخاصمة والجدال الشبه العقيم، وأكثر أعمال علماء المسلمين في دراسة الأديان تنصب على هذا المبدأ، مبدأ الدعوة وبيان زيف الدين الآخر.² وكان الأمر واضحا جدا في التراث الإسلامي. إلا أن الأمر استمر في الفكر الإسلامي لكن على نمط علمي ومقتن أكثر من صراحة الكتب التراثية. وذلك أن الأساس الذي قام عليه علم مقارنة الأديان مؤخرا هو الابتعاد عن المنهج الأول، والتركيز في دراسة الأديان من الجانب الوصفي والتاريخي البياني دون الحكم.

ومن هنا فلتن كان أهم عوامل اهتمام علماء المسلمين قديما بالأديان عامة والنصرانية خاصة من باب الدعوة وبيان الزيغ والتحريف وفق ما يرى المسلمون، لا وفق ما يرى أصحاب الدين؛ فإن من أهم عوامل التأليف في هذا العصر تأكيد الأمر نفسه، إلا أن

¹ فتاح، عرفان عبد الحميد، النصرانية: نشأتها وأصول عقائدها (عمان: دار عمان، ط1، 2000)، ص6.

² توري، سيكو، النصرانية في الخطاب القرآني: دراسة لآراء الإمام الرازي (كوالامبور: رسالة ماجستير غير منشور، مقدمة إلى قسم أصول الدين ومقارنة الأديان بكلية معارف الوحي، الجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا.) ص 228 فما بعد.

المنهجية احتلت بمحكم القضايا الجديدة والتطور الفكري عموماً وقوام علم مقارنة الأديان خاصة.

من الكتب المعاصرة التي اهتمت بالنصرانية وفق الهدف نفسه صراحة؛ كتاب **محاضرات في النصرانية** لصاحبه محمد أبو زهرة، حيث بين أنه شغف بدراسة الأديان رغم أنه مسلم وعاش في مجتمع إسلامي، وبعد اطلاعه على الأديان بقي مسلماً! لأنه اطلع على ما في هذه الأديان الأخرى من تحريف وتبديل، وفيها ما لا يقبله العقل ولا يستسيغه!¹ ومثله كتاب **المسيحية** لأحمد شلبي، حيث ألفه لما طلب منه المحاضرة في الأديان وهو في أندونيسيا وعقب مناظرته مع النصارى.² ومثلهما في الهدف كتاب **دراسات في اليهودية والنصرانية وأديان الهند**، للأعظمي. حيث بين في قصة الكتاب أنه يسعى إلى بيان عظمة الإسلام بناء على مناظراته مع أصحاب الأديان الأخرى، التي حرفت عبر التاريخ. وأكد ذلك بأن القرآن عني بالأديان الأخرى وحرص على بيان تحريفهما وأن الإسلام هو الدين الوحيد المحفوظ.³

يلاحظ أن أكبر مصادر إسلامية في دراسة النصرانية في العصر الحديث سعت إلى التأليف فيها لبيان الدين وكيف طرأ عليه التحريف، في جانب نقاء الإسلام وصفائه، رغم أن هذه الأعمال أكاديمية. ولا عجب في هذا فإنه امتداد لتأثير علماء المسلمين بالمنهج القرآني في دراسة الأديان.⁴ ويضاف إلى كل هذا جهود الفاروقي في دراسة

¹ أبو زهرة، محمد، **محاضرات في النصرانية** (القاهرة: دار الفكر العربي، الطبعة الثالثة، 1966). ص 3.

² شلبي، أحمد، **المسيحية** (القاهرة: مكتبة النهضة، الطبعة الثامنة، 1998). ص 22 فما بعد.

³ الأعظمي، محمد ضياء الرحمن، **دراسات في اليهودية والمسيحية وأديان الهند** (الرياض: مكتبة الرشد، الطبعة الثانية، 2003). ص 13 – 16.

⁴ توري، النصرانية في الخطاب القرآني: دراسة لآراء الإمام الرازي، ص 233 فما بعد؛ وانظر: عثمان، رحمة بنت أحمد الحاج، وتوري، سيكو. منهج الخطاب القرآن في الحديث عن النصرانية

النصرانية في كتاب الأخلاق المسيحية.¹ لكن الفرق هو أنه أسس للأمر منطقيًا وفلسفيًا بتقدمه المعايير النظرية والتقويمية لدراسة الدين، وما تبع من نظرية ما وراء الدين (Meta-Religion)، ولعل كل هذا ل يتيح له بان النقد وبيان تحريف النصرانية، على غرار المصنفات التراثية وغيرها من المعاصرة.

5- ومن أهم أسباب التأليف الدعوة إلى الحوار الإيماني كما يسميه المرحوم، وأن يكون ذلك وفق الآية القرآنية.

6- وبيان أن حوار الأديان لا تعني وحدة الأيان. والهدف الخامس والسادس من تبعات ما ذكر أعلاه، وسيأتي مزيد الحديث عنهما لاحقاً!

خلاصة القول هو أن المرحوم سعى إلى دراسة النصرانية لتقديم عرض موجز ومركز لعقائدها وتطورها، وأن ذلك سيكون بالمنهج التاريخي وبكل موضوعية، على أنه سينطلق من أن الدين وضع إلهي في الأصل، رغم أن الاهتمام بعلم مقارنة الأديان مؤخرًا قائم على أنقاض الدين. ولعل كل هذه الأسباب ممهّدة لتسويغ النقد والحكم؛ معضلة منهج دراسات الأديان بين الإسلام وغيره، يقول المرحوم: "وانتقلت المسيحية من بشارة عيسوية موحدة إلى المسيحية التاريخية"² والمرحوم بهذا لم يخرج من صف المسلمين في المنهجية والمحتوى.

دراسة الاسم الموضوع على الديانة: "النصرانية" "المسيحية" "العيسوية":

يتردد اسم الديانة التي يعتنقها من يؤمن بأن عيس المسيح جوهره؛ يتردد بين اسمين في الفكر الإسلامي، هما:

وآثاره المنهج القرآني (كوالالمبور: مجلة الإسلام في آسيا، العدد الخاص 4، ديسمبر 2011). ص 104 - 128.

¹ إسماعيل راجي الفاروقي، الأخلاق المسيحية، مقدمة الكتاب.

² فتاح، المرجع السابق، ص 19.

أ- النصرانية

ب- المسيحية

وقد اختار أغلب من كتب عن هذه الديانة في الفكر الإسلامي مصطلح "النصرانية" أو "نصارى" تأثراً بالخطاب القرآني. واختار بعض المتأخرين مصطلح "المسيحية". ويقف المنتبِع أن جدلاً علمياً بدأ ينشأ حول ما الاسم الأليق بهذه الديانة؟

ويبدو أن المرحوم لم يفضل مصطلح على آخر، ولعله يراها من المترادفات، ولا فرق بين استخدامهما للدلالة على اسم الديانة. وقد استخدم مصطلح النصرانية اسماً لكتابه، مما قد يوحي إلى أنه اختياره الأولي، لكن يلاحظ أنه شرع في تعريف الديانة بمصطلح المسيحية، مما قد يوحي بدوره إلى أنه الاسم المفضل والمختار. ولعل الأصوب القول أنه يراها من المترادفات، دون ترجيح.

يجد المنتبِع أن المرحوم حلل أصل كل مصطلح وتاريخه وعرف به، بدأ تعريف المسيحية بأنها: "المسيحية اسم للدين الذي بشر به سيدنا عيسى المسيح "Jesus the Christ" واسمه الأصلي عمانويل، ومعناه الله معنا.¹

يجد المنتبِع أن مصطلح المسيحية مصطلح لم يذكره القرآن، ولا استخدمه أوائل المسلمون الذين كتبوا في الملل والنحل. وهذا لا يعني عدم جواز استخدامه، إذا عرفوا به، لكن قد يكون الأحسن استخدام اللفظ الذي استخدمه القرآن في التعريف بهم، وما سار عليه علماؤنا.

يرادف المسيحية النصرانية، إذ يراد بالمسيحية الذين تبعوا المسيح عيسى عليه السلام، وهي ديانة أتباع عيسى. المسيحية هي نسبة إلى يسوع، اسم المسيح باللغة العبرية، وقد عرف بهذا في الأناجيل "...وستلد ابناً تسميه يسوع، لأنه يخلص شعبه من خطاياهم" متى: 1|22-81.

¹ افتتاح، نفس المرجع، ص 13.

أما لفظ مسيح، نعم فله ذكر في القرآن، وهو اسم ولقب من ألقاب عيسى عليه السلام. لقد عدّ المرحوم عرفان عبد الحميد عملية البحث حول اشتقاقية اللفظ ومعانيه في العربية عبثاً، وأن ما ذكره من التأويلات المتكلفة لا تصح. و رأى أن المسيح لقب واسم في آن واحد، "A tittle and proper name" وهو مشتق من الكلمة العبرية "Messiah" وتعني في العبرية والآرامية المنقذ الموعود، وأصل الكلمة في العبرية: Ha- "mashiah" وتعني الممسوحة سرته بدهن الزيت المقدس، "yehoshua" بدلالة يهوه المنقذ، "Yahweh the saviour" ثم اختصرت فاتخذت صورة: Yeshu أو Yeshua، يسوع، بدلالة الممسوحة سرته والمختار من الله تعالى: "the anointed and chosen one by God"¹. وقد ترجمت الكلمة إلى اليونانية بصيغة Khristos خريستوس المشتقة من Khriein أي المسح، to anoint، ومنها اشتق الاسم التاريخي للديانة Christianity. أما اسم Jesus فأت من اليونانية Le sous، التي بدورها ترجمة للكلمة العبرية Yeshu.²

ولقد تناول الإمام الرازي اللفظ بالتحليل والدراسة، أهو اسم مشتق أو موضوع؟ ومن ثم ذكر معانيه: فبين أن فيه قولان. الأول: قال أبو عبيدة والليث: أصله بالعبرانية مشيحا، فعرّبه العرب وغيروا لفظه، وعيسى: أصله يشوع كما قالوا في موسى: أصله موسى، أو ميشا بالعبرانية، وعلى هذا القول لا يكون له اشتقاق. والقول الثاني: أنه مشتق وعليه الأكثرون، ثم ذكروا فيه وجوهاً الأول: قال ابن عباس: إنما سمي عيسى عليه السلام مسيحاً، لأنه ما كان يمسح بيده ذا عاهة، إلا بريء من مرضه الثاني: قال أحمد بن يحيى: سمي مسيحاً لأنه كان يمسح الأرض أي يقطعها ومنه مساحة أقسام الأرض، وعلى هذا المعنى يجوز أن يقال: لعيسى مسيح بالتشديد على المبالغة كما يقال للرجل

¹ see: Zeitlin, Irving. M, *Jesus and the Judaism of His Time* (Cambridge: Polity Press, 1988) p.168.

² عرفان، المرجع السابق، ص 39.

فسيق وشريب، الثالث: أنه كان مسيحاً، لأنه كان يمسح رأس اليتامى لله تعالى، فعلى هذه الأقوال: هو فعيل بمعنى: فاعل، كرحيم بمعنى راحم، الرابع: أنه مسح من الأوزار والآثام، والخامس: سمي مسيحاً لأنه ما كان في قدمه خمص، فكان ممسوح القدمين، والسادس: سمي مسيحاً لأنه كان ممسوحاً بدهن طاهر مبارك يمسح به الأنبياء، ولا يمسح به غيرهم، ثم قالوا: وهذا الدهن يجوز أن يكون الله تعالى جعله علامة حتى تعرف الملائكة أن كل من مسح به وقت الولادة فإنه يكون نبياً، السابع: سمي مسيحاً لأنه مسحه جبريل صلى الله عليه وسلم بجناحه وقت ولادته ليكون ذلك صوناً له عن مس الشيطان، الثامن: سمي مسيحاً لأنه خرج من بطن أمه ممسوحاً بالدهن، وعلى هذه الأقوال يكون المسيح، بمعنى: الممسوح، فعيل بمعنى مفعول. قال أبو عمرو بن العلاء المسيح: الملك. وقال النخعي: المسيح الصديق.¹

يرى الباحث أن ما قام به العلماء عموماً والرازي خصوصاً في سبيل إجلاء الكلمة وتوضيحه، وفي سبيل رده إلى أصله عمل جبار يشكر عليه، وقد أتى بنتائج حيث وصلوا إلى معان كثيرة معظم ما ذكره المرحوم داخل فيها. وتركزت أعماله في إعطاء معنى "المسيح" وهو كما يرى لفظ عربي قرآني، له دلالاته اللغوية، التي منها قد يكون أخذ لقب عيسى عليه السلام، فجهدهم طيب وليس بعث إن شاء الله، على أن ما ذكره عرفان جهد طيب لكن مرتكزه على الترجمة، يفيد في جمع الأقوال و معرفة المزيد، بينما عمل الرازي كما رأينا هو بيان النص القرآني، والذي نزل بلسان عربي مبين .

¹ المرجع السابق، جزء 8، صفحة 220.

فالمسيحية نسبة إلى المسيح، و يقول صاحب دراسات في الأديان أن أول ما دُعي النصارى بـ "المسيحيين" كان في أنطاكية حوالي سنة 42م، ويرى البعض أن ذلك أول مرة كان من باب الشتم.¹

وفحوى القول هو إن لفظ المسيحية يطلق على الديانة التي يؤمن أصحابها باتباع عيسى المسيح عليه السلام، والذين عرفوا في بادئ الأمر بالنصارى ومن ثم بالمسيحيين. أما فيما يتبع بمصطلح النصرانية فيعرفها بقوله: "وأما تسمية البشارة العيسوسية بـ النصرانية، فنسبة إلى مدينة الناصرة، Nazareth، مسقط رأس السيد المسيح عليه السلام، Jesus the Nazareth، كما تؤكد المصادر اليهودية، التي تنكر أن يكون مسقط رأسه: بيت لحم، لنفي صفة المسيحية المنتظرة، المخلصه عنه، ولذا نسبوه إلى الناصرة التي وصفوها بالقول: [أمن الناصرة يخرج شيء صالح] إنجيل يوحنا: 1|46".² مصطلح النصرانية مصطلح ليس له ورود في الخطاب القرآني بهذا اللفظ، إنما استخدم القرآن "نصارى" والنصرانية عنوان للدين الذي بشر به المسيح عيسى كما يؤمن أتباعها،³ وهي بهذا تعرف أنها الدين الذي يعتقده النصارى، فدين النصارى إذن هي النصرانية.

فالنصرانية هي الرسالة التي أنزلت على عيسى عليه الصلاة والسلام، مكتملة لرسالة موسى عليه الصلاة والسلام، و متممة لما جاء في التوراة من تعاليم، موجهة إلى بني

¹ الخلف، سعود بن عبد العزيز، دراسات في الأديان اليهودية والنصرانية (الرياض: مكتبة أضواء السلف، الطبعة الأولى، 1997). ص 109.

² فتاح، المرجع السابق، ص 40.

³ الباحث هنا مجرد مبين وواصف لمصطلح النصرانية، وليس في مجال بيان صحة ديانتهم، أو صحة نسبة دينهم إلى عيسى. ولعل هذا هو عين الموضوعية. على أنه ستكتمل معنا الرؤية مع نهاية البحث.

إسرائيل. جاء في قاموس المذاهب والأديان: "هي الديانة المسيحية التي أسست على تعاليم المسيح المتمة لتعاليم موسى ولما جاء في التوراة".¹ هناك لفظة حبذا لو تُدبّرت، وهي أن عدم الاستعمال القرآني للفظ النصرانية كان له أثر على علماء المسلمين من بعد، فحين يتحدثون عن هذا الدين فغالبا ما يعنونون له بالنصارى، اعتبارا بالأعيان أو الأتباع، فينطلقون من معيار الأتباع، لا من منطلق الديانة، الأمر في هذا كالشأن في غيرها من الأديان، فيتحدثون دائما عن المجوسية بالمجوس، واليهودية باليهود... نلاحظ هذا في كتابات المسلمين في النحل الأخرى قديما كالفضل لابن حزم والملل والنحل للشهرستاني.² يذكر الفخر الرازي في بيان المقصود من النصارى في آية البقرة التي ذكرت الأديان الستة، أن في اشتقاق اسم النصارى وجوها:

أحدها: أن القرية التي كان ينزلها عيسى عليه السلام تسمى ناصرة، فنسبوا إليها وهو قول ابن عباس وقتادة وابن جريج. **وثانيها:** لتناصرهم فيما بينهم أي لنصرة بعضهم بعضاً. **وثالثها:** لأن عيسى عليه السلام قال للحواريين من أنصاري إلى الله، ويذكر عن صاحب الكشاف أن النصارى جمع نصران والياء في نصراني للمبالغة كأحمري لأنهم نصروا المسيح.³

هذا من حيث الاشتقاق وأصل الكلمة، ولعل الأرجح هو القول الثاني والثالث معاً، فلا مانع من الجمع بينها إذ النصر واقع فيهما معاً. ولقد رجح بعض العلماء القول الأول،

¹ حمد، حسبي علي، قاموس المذاهب والأديان (بيروت: دار الجيل، الطبعة الأولى، 1998). ص209..

² توري، النصرانية في الخطاب القرآني: دراسة لآراء الإمام الرازي، ص 43.

³ الرازي، مفاتيح الغيب، ج3، ص535.

والخلاف في هذه الأقوال وارد، لا بأس به، فرجح المرحوم النسبة المكانية، قالوا سموا نصارى نسبة إلى ناصرة، مكان ميلاد المسيح عليه السلام.¹

يضاف إلى هذا أن المرحوم يطلق على الديانة أيضا مصطلح: "اليسوية" أو "البشارة اليسوية". يقول: "وأما تسمية البشارة اليسوية.² يجد المتتبع ذلك جليا في قوله: "بخروج اليسوية عن إطار التوحيد اليهودي الموروث."³ ويقول: "وهكذا أيضا انقطعت اليسوية"⁴ وفي مثل عبارة: البشارة اليسوية عبارة عن حركة تصحيحية لليهودية من الداخل.⁵ ويقول المرحوم: "انتقلت اليسوية من فرقة داخل اليهودية إلى مسيحية مقطوعة الصلة بجذرها اليهودي، وصار أتباعها يسمون المسيحيون."⁶

خلاصة القول هو أنه ثمة ديانة يجتمع أصحابه على الإيمان بجملة أصول عقدية، يطلق على هذه الديانة المسيحية نسبة إلى المؤسس، كما يطلق عليها أيضا النصرانية نسبة إلى مكان ميلاد المؤسس، ومن هنا فلا فرق بين المصطلحين عند المرحوم. على أنه يطلق عليهم اسما آخر هو اليسوية بناء على الاسم العربي للمؤسس.

أهم الموضوعات العلمية التي تناولها في كتابه.

(أ) عقيدة الصلب والبعث والفداء

¹ فتاح، النصرانية نشأتها التاريخية وأصول عقائدها. ص 40.

² فتاح، عرفان عبد الحميد، النصرانية نشأتها التاريخية وأصول عقائدها (كوالالمبور: دار التجديد، الطبعة الثانية، 2005). ص 40.

³ فتاح، نفس المرجع. ص 27، 54، 127.

⁴ فتاح، نفس المرجع. ص 29.

⁵ فتاح، نفس المرجع. ص 47.

⁶ فتاح، نفس المرجع. ص 55.

من أهم القضايا التي ترد لدى دراسة النصرانية التطرق إلى عقائدها، لذا يجد المتتبع أن المرحم حاول إلقاء الضوء على أهم العقائد النصرانية وإن لم يعنون لها. يقصد بعقيدة الصلب أن عيسى ابن الله قُتل مصلوبا من قبل اليهود، ويقصد بالفداء السر الكامن وراء الصلب والذي يُفسّر عملية الصلب بأن الرب أعطى ابنه الوحيد ليقتل فداء عن خطايا البشر الواقع على أعناقهم نتيجة خطأ آدم بأكل الشجرة.¹ لقد بين المرحوم ضمنا أن النصارى يدينون بعقيدة الصلب، يتضح ذلك لدى دراسته: من المتهم عن صلب المسيح. حيث أورد أربعة احتمالات في بيان المسؤولية: رجال المعبّد، الطبقة الاستقرائية، السلطة الرومانية، وروايات إنجيل يوحنا التي تضع المسؤولية على اليهود.²

يلاحظ أنه لم يصرح بإيمان اليهود بعقيدة الصلب، كما يلاحظ إيمانه بأن تفسير عملية الصلب حظي بآراء كثيرة، على أنه لم يتبنّ رأيا من هذه الآراء. ولعل هذا يتخلله نوع من النقد والتأثير برأي أولي، على ما يأتي بيانه في المبحث القادم. أما فيما يتعلق بعقيدة البعث فلم يختلف عن الأول في كتابات المرحوم من حيث الدراسة. إذ لم يصرح به لكنه بين أن ذهولا انتاب القوم بعد أن لم يجدوه في قبره وكفنه في اليوم الثالث وفق روايات الإنجيل. وحلل التفسيرات القائمة من دراسات معاصرة. ثم إن القارئ يجد أن المرحوم يربط بين الصلب والحشر بعقيدة الفداء، التي تأتي تفسيراً لسر الصلب واستجابة لماذا صُلب ابن الله الوحيد ولم يقه والده من شر الكفرة؟! ولعل هذا يحمل في طياته التفكير النقدي الذي قد يشوب صفحة الموضوعية! وجزير بالذكر أن علماء المسلمين اعتادوا تعقيب المسألة بالفرق النصرانية، والتي ظهرت نتيجة

¹ توري، النصرانية في الخطاب القرآني: دراسة لآراء الإمام الرازي، ص 117.

² فتاح، النصرانية نشأتها التاريخية وأصول عقائدها. ص 23، 54.

اختلافهم في شرح حقيقة مفهوم الصلب وهل وقع ذلك على الناسوت أم اللاهوت أم هما معا؟!

يذكر أن القرآن لم يول اهتماما لعقيدة الفداء والخطيئة، لماذا يا ترى؟ لأن موقف القرآن من عقيدة الصلب هو الرفض بدليل التاريخ، وبناء على "وما قتلوه وما صلبوه"، وأن مكرهم في محاولة القتل باء بالفشل بأن قابل الله مكرهم بمكر مثله وهو أن نجّا عيسى عليه السلام من مكرهم فلم يتمكنوا من قتله.¹

بقي القول أن النصارى يفسرون عملية الصلب بأن الله أعطى ابنه الوحيد للقتل حتى تغتفر خطايا البشر نتيجة أكل آدم عليه السلام من الشجرة، فلما بطل الصلب بطلت عقيدة الفداء أو الخطيئة، لأن الثاني من لوازم الأول، لذلك لم يتكلم عنه القرآن صراحة، وهذا يعني أنه تكلم عنها تلويحا، فهو تحصيل حاصل. يذكر أحمد علي عجيبة في ذلك أنه يترتب على نفي الصلب نفي الغاية التي ألصقها النصارى بدعواهم بصلب المسيح فداء للبشرية، فالمسيح لم يصلب ولم يفد أحد، فالكل مسئول عن عمله إن خيرا فخير وإن شرا فشر، وإبطال الصلب يبطل قيامة المسيح... فآدم تاب من ذنبه والله سبحانه وتعالى تاب عليه. والإسلام يجلي هذا فيبين أن آدم مسئول عن ذنبه وحده، وأن كل إنسان مسئول عن عمله يحاسب عليه وحده لا غير، فكل إنسان على نفسه بصيرة، وكل إنسان لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت ولا تزر وازرة وزر أخرى.²

ب) عقيدة الثليث

¹ توري، النصرانية في الخطاب القرآني: دراسة لآراء الإمام الرازي، ص 117.

² عجيبة، أحمد علي، الخلاص المسيحي ونظرة الإسلام إليه (القاهرة: دار الآفاق العربية، الطبعة الأولى، 2006). ص 45.

إن عقيدة التثليث من أهم عقائد النصارى، ويقصد بها تلك التي تقول إن طبيعة الله عبارة عن ثلاثة أقانيم متساوية: الله الأب، والله الابن، والله الروح القدس، فإلى الأب ينتمي الخلق بواسطة الابن، وإلى الابن الفداء، وإلى الروح القدس التطهير.¹

يجد المتتبع أن المرحوم لم يخصص لها موضوعا للدراسة، وإنما ربطها أيضا بالتفسير المختلفة لطبيعة الصلب والفداء والبعث. حيث اندهش الحواريون من حادثة صلبه واعتبروا أنفسهم مقصرين في الدفاع عنه والذود عن رسالته، فأخذت أشكالا عديدة في الشرح ما أدى إلى الاندهاش والذهول وخصوصة المسيح فالتثليث. يقول: "والحق فإن هذا الحدث المفاجئ -قيامته بعد صلبه- قد تسبب في نقل دعوة المسيح -عليه السلام- والتي كانت في جوهرها استجابة للأزمة داخل اليهودية، إلى حركة منظمة، ومن بعد إلى دين جديد متميز عن اليهودية، وبداية الانفصال عنها، وفهم جديد، وتفسير مبتدع مستحدث ليحاة المسيح وبشارته"² ونقل في هذا الصدد: "إن عيسى هو الفاني الوحيد الذي يمكن أن نقول عنه: إن موته كان أعمق فعلا وتأثيرا في التاريخ من حياته"³ وذكر بأن بولس استغل هذا الحدث ليؤول النصوص في صالح التثليث: "وهكذا فرض القديس بولص جملة من التصورات والمفاهيم المغترية عن الوجدانية اليهودية؛ استمدتها من.. إلى أن قال: "بخروج العيسوية عن إطار التوحيد اليهودي الموروث."⁴ أخيرا انتهى بالمرحوم في تحليلاته هذه إلى: "وهكذا أيضا انقطعت العيسوية عن عقيدة التوحيد ودخل فيها القول التثليث -عقيدة- أقرتها بعد خصومات داخلية عانت منها المسيحية"

¹ توري، النصرانية في الخطاب القرآني: دراسة لآراء الإمام الرازي، ص 114.

² فتاح، النصرانية نشأتها التاريخية وأصول عقائدها. ص 25، 83.

³ المصدر نفسه.

⁴ فتاح، النصرانية نشأتها التاريخية وأصول عقائدها. ص 27، 54.

ثم استأنس بموقف الفكر الإسلامي من علاقة المسيحية الحالية ببولس، على أن من التفسيرات ما تثليث الهندوسية، أو مبدأهم في "الأفاتار".¹

ومن هنا فإن الوصف التاريخي انتهى إلى نقد خارجي، ووصف الديانة لا كما عند معتنقيه. وسيأتي المزيد لدى دراسة منهجه وقضية الموضوعية.

يذكره أبو زهرة في هذا الصدد أنه يبدو بجلاء أن شخصية الابن غير الأب، وكذلك روح القدس، ولكن هل يدخل في الأقنوم الثاني جسده وروحه؟ أجاب بأن ذكر أنه جاء في كتاب خلاصة تاريخ المسيحية في مصر: (كنيسةنا المستقيمة الرأي التي تسلمت إيمانها من كيرلس وديسقوروس، ومعها الكنائس الحبشية والأرمية والسريانية الأرثوذكسية) عرف قديما بالكنائس الشرقية، أو المذهب يعقوبي)² تعتقد أن الله ذات واحدة مثلثة الأقانيم: أقنوم الأب وأقنوم الابن وأقنوم روح القدس، وأن الأقنوم الثاني أي أقنوم الابن تجسد من الروح القدس، ومن مريم العذراء، مصيرا هذا الجسد معه واحدا واحداً وحدة ذاتية جوهرية منزهة عن الاختلاط والامتزاج والاستحالة، بريئة من الانفصال، وبهذا الانفصال وبهذا الاتحاد صار الابن المتجسد طبيعة واحدة من طبيعتين، ومشئئة واحدة). وتعتقد الكنيسة اليونانية الأرثوذكسية والكنيسة الكاثوليكية³ بأن للأقنوم الثاني طبيعتين و مشيئتين. ومن هذا نرى أن الكنائس كلها تعتقد التثليث وهذا موضع الاتفاق،

¹ فتاح، النصرانية نشأتها التاريخية وأصول عقائدها. ص29، 71.

² استخدام الاسم الجديد المعاصر (الأرثوذكسية) بدلا من الاسم القديم (الكنائس الشرقية أو المذهب يعقوبي) الذي يعرفه الرازي ويستخدمه، من دواعي الموضوعية، فهذا الاستخدام هكذا أورده الإمام أبو زهرة وهو ينقل عن كتاب خلاصة تاريخ المسيحية في مصر، لكن كباحث فيني ذكرت بالمصطلح القديم، والذي استخدمته في خضم البحث استجابة لطبيعة البحث، فهو استخدام الرازي. للتوسع في التعريف وإدراك الفرق أو العلة الجامعة ينظر: شلي، المسيحية، ص193 فما بعد.

³ الكاثوليكية هو الاسم الجديد المعاصر، بدلا من الملكية أو الملكية. انظر: المصدر السابق، الصفحة نفسها.

ولكن موقع الخلاف بينها هو العنصر الإلهي في المسيح، أهو الجسد الذي تكون من روح القدس ومن مريم العذراء الذي باختلاطه بالعنصر الإلهي صار طبيعة واحدة مشيئة واحدة أم أن الأقنوم الثاني له طبيعتان ومشيتان.¹

أما فيما يتعلق بعقيدة ألوهية عيسى، فإن المرحوم لم يفرد به عنوان مستقل، لكنه تطرق إليه وهو يتحدث عن المراحل التاريخية للنصرانية، وبين أنه في المرحلة الثالثة تحولت المسيحية لتصبح الدين الرسمي للروم، وانتهت المسيحية أخيراً إلى القول الجامع بالاعتقاد بالطبيعتين: الإلهية والناسوتية للسيد المسيح، والجمع والتلفيق بين الوجدانية والتثليث بالاعتقاد بأن الله واحد في جوهره ثلاثة في أشخاصه.²

يلاحظ أن ألوهية عيسى هنا فسر من منظور التثليث؛ فكأننا نتحدث عن عقيدة التثليث نفسه. ولعل هذا يحملنا إلى القول بأنه ورد في أربعة أماكن في القرآن الكريم أن صنفًا وطائفة من الناس يدينون بأن عيسى إله،³ هي: "لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح ابن مريم" وردت مرتين في المائدة 17 و72، وفيها في آية 116: "أأنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين من دون الله" وفي التوبة آية 31: "اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله والمسيح ابن مريم" يحكي القرآن أن الذين قالوا إن عيسى هو الله بنفسه أو بذاته هم كافرون برسالة محمد.

لكن يا ترى ما هي الفرقة النصرانية التي تعتقد بأن عيسى نفسه هو الله، أو بعبارة القرآن إن الله هو المسيح؟ يقول الرازي في صدد بيان المقصود من الآية: "اعلم أنه تعالى لما استقصى الكلام مع اليهود شرع هاهنا في الكلام مع النصارى، فحكي عن فريق منهم أنهم قالوا إن الله هو المسيح ابن مريم، وهذا هو قول اليعقوبية لأنهم

¹ أبو زهرة، محاضرات في النصرانية، ص 120.

² فتاح، النصرانية نشأتها التاريخية وأصول عقائدها. ص 70، 83.

³ توري، النصرانية في الخطاب القرآني: دراسة لآراء الإمام الرازي، ص 101 فما بعد.

يقولون إن مريم ولدت إلهاً، ولعلّ معنى هذا المذهب أنهم يقولون إن الله تعالى حل في ذات عيسى واتحد بذات عيسى"¹، ويقول في كتابه اعتقادات فرق المسلمين والمشرّكين، وهو يتحدث عن فرق النصارى: "اليعقوبية: وهم يقولون إن روح الباري اختلط ببدن عيسى عليه السلام اختلاط الماء باللبن."² فهذا يدل على أنهم يقولون إن الله هو عيسى.

إذا لم يصح إنزال الآيات السابقة على جميع فرق النصارى بأن الله هو المسيح بنفسه، لا يعني ذلك أن النصارى يؤمنون بأن عيسى مجرد نبي، فهم يؤمنون بألوهيته، ويختلفون في شرح ذلك؛ فقبل مجمع نيقية 325م، لم يكن الإيمان بألوهية المسيح محل إجماع المسيحيين، ومنذ انعقاد هذا المجمع أصبح الإيمان بألوهيته الموقف الرسمي للكنيسة. لذلك يبدو للباحث أن أغلب فرق النصارى يؤمنون بألوهية المسيح وإن اختلفوا في شرح وبيان المقصود بطريقة كونه إلهاً، يقول العالم النصراني³ مناظر الرازي: "إني لا أقول في عيسى إنه كان نبياً بل أقول إنه كان إلهاً."⁴

لإدراك موقف النسطورية من تأليه عيسى، يستحسن بنا النظر في تعريف الرازي لهذه الفرق. يعرف الرازي النسطورية منهم قائلًا: "هم يقولون إن اتحاد الله بعيسى لم يبق

¹ الرازي، مفاتيح الغيب، ج12، ص50.

² الرازي، اعتقادات فرق المسلمين والمشرّكين، ص117.

³ لم يقف الباحث على اسمه، كما أن من عني بدراسة مناظرته لم يتكلم عنه، ولعل السبب هو عدم ذكر الرازي نفسه من هو، فهو قط ذكر أنه لما سافر إلى خراسان التقى بعالم نصراني يدعي التحقيق والتعمق في النصرانية. انظر: مفاتيح الغيب، ج8، ص69؛ مناظرة في الرد على النصارى، ص8-9.

⁴ الرازي، مناظرة في الرد على النصارى، ص22.

وقت الصلب،¹ مما يدل على أنهم يؤمنون بالاتحاد، وبالضرورة هم يؤمنون بألوهية عيسى.

أما عن موقف الملكية منهم، فقد بين الفخر الرازي في الملكية: "أنهم يقولون إن اتحاد الله بعيسى كان باقيا وقت صلبه."² ومن خلال هذا ندرك أن فرق النصارى الكبرى الثلاثة يقولون بتأليه عيسى، إلا أنه من الجدير بالانتباه إليه هو الفرق بين الملكية والنسطورية من جهة وبين اليعقوبية من أخرى، فاليعقوبية قالوا بألوهية عيسى من منظور أن شخص عيسى هو الله بعينه، أي جوهر واحد، وهذا ما حكاه القرآن بأن الله هو المسيح. خلافا للفرقتين، فهم مع قولهم بألوهية عيسى فليس من نفس منظور اليعقوبية، إنما من منظور جزئية، أي بالحلول صار شخص عيسى البشري إلهًا، فهناك جوهران جوهر عيسى وجوهر الإله، وهذا هو التعبير بالناسوت واللاهوت.

فألوهية المسيح وفق بيان المرحوم جزء من التثليث، لكنه في الحقيقة نقل عن رأي اليعقوبية خاصة وهو المذكور في القرآن، ورغم ذلك فإنه متممضن لدى الفرق الأخرى في عقيدة التثليث.

(ج) كتاب المسيحية المقدس:

يعتبر الكتب المقدسة من أهم العناصر التي يقوم عليها دين ما. ولقد تحدث المرحوم عن الإنجيل بوصفه الكتاب الذي يؤمن به أتباع عيسى عليه السلام على أنه الحامل لعقيدة النصارى والمفصل لحياة عيسى عليه السلام.

¹ الرازي، اعتقادات فرق المسلمين والمشركين، ص116.

² الرازي، نفس المرجع، ص116.

بين المرحوم أن الانشغال باشتقاقية الإنجيل أمر عديم الفائدة، إذ إنها ليس بعربية الأصل. بين أن الأناجيل المعتبر أربعة: متى ومارك ولوقا ويوحنا (Mathew, Mark, Luke and John)¹ ويطلق على الثلاث الأول متماثلة. وقد دونت ما بين 60 إلى 125 ميلادي، وقد أعدمت غير هذه الأناجيل بعد انعقاد مؤتمر نيقية

الديني 325م. وبين أن اللغة التي تحدث بها المسيح هي الآرامية، بينما الأناجيل دونت باليونانية الحديثة، وليس باليونانية القديمة حتى.²

وأعقب بأن هذه الأناجيل متعارضة في سرد حياة المسيح، إذ إن إنجيل مرقس يصوره على أنه بشر مبعوث وابن الإنسان، أما متى فيقدمه بشكل رسول ومشروع أسمى من موسى عليهما السلام، ويصوره لوقا -متى ولوقا لنفس المؤلف- على أنه مكمل الشريعة الموسوية والناسخ لها. أما الإنجيل الأخير فإنه صوره على أنه إله أو الكلمة الإلهية، حلت في الإنسان وأن اليهود عادوه.³

أخيراً لقد ذكر القرآن الكريم الإنجيل، وبين أنه أنزل على عيسى النبي، وفيه الهدى والنور، وأن يد التحريف والتغير والكتمان والإخفاء تسرب إليه، فلذلك ليرجع النصارى إلى الأصل وليقيموا تعاليم الإنجيل، على أنه كان لعلماء المسلمين مشارب في بيان معنى التحريف وطرق ذلك. ولعل العرض التاريخي الذي افاده المرحوم يرجع في الأخير إلى الإيكان المسبق بهذه الحقيقة في الفكر الإسلامي.

(د) صلة عيسى باليهودية:

يجد المتتبع أن المرحوم سعى في الكتاب وفي أكثر من مكان إلى بيان صلة عيسى عليه السلام باليهودية، وأكد أنه كان إنساناً وبشراً يعيش ملتزماً بتعاليم التوراة، وجاء لإكمال

¹ الأعظمي، دراسات في اليهودية والمسيحية وأديان الهند، ص 367، و 403.

² فتاح، نفس المرجع. ص 35 و 71.

³ فتاح، نفس المرجع. ص 37.

الشريعة الموسوية، ويرى بناء على ذلك أن البشارة العيسوية عبارة عن حركة تصحيحية لليهودية من الداخل.¹ يقول المرحوم: "وهكذا تحول السيد المسيح -ابن الإنسان- إلى موجود مفارق.. وبهذا الخطوات انتقلت العيسوية من فرقة داخل اليهودية إلى مسيحية مقطوعة الصلة بجذرها اليهودي، وصار أتباعها يسمون المسيحيون."²

هـ) تاريخ المسيحية:

لعل الجزء الأكبر من كتاب المرحوم انصب على تاريخ تطور الفكر الديني في النصرانية، لذا يجد المتتبع أن أكثر من نصف الكتاب منصب لبيان ذلك، ورغم أن الجزء الأول أو الشطر الأول من الكتاب اهتم ببيان العقيدة، إلا أن بعض مسائل العقيدة تتكرر أثناء السرد التاريخ لتطور الديانة. من أهم المراحل التاريخية التي أورده المرحوم ما يأتي:

أولاً: عصر النشأة: أكد في هذا أن المسيح نشأ يهودياً، وأن دعوته كانت بشارة لإكمال شريعة موسى، إلى أن تغير على يد بولس.³

ثانياً: فترة الاضطهاد والاستشهاد: "age of persecution and martyrdom" وهي فترة تعذيب المؤمنين بالمسيح، حيث إن نشأتها في أجواء بيزنطية رومانية عريقة في تقاليدها الوثنية قد عرضت المؤمنين الأوائل إلى اضطراد؛ باعتبارها دينا غير شرعياً، وانتهت هذه الفترة سنة 311، وكان من إيجابيات الفترة هجرة بعض المؤمنين خوفاً من العذاب وأدى ذلك إلى انتشار الديانة، تنامي رابط الأخوة، تطوير شبكة التواصل السرية.⁴

¹ فتاح، نفس المرجع. ص 47.

² فتاح، نفس المرجع. ص، 53، 55.

³ فتاح، نفس المرجع ص، 47 - 59.

⁴ فتاح، نفس المرجع. ص، 59 - 61.

ثالثاً: فترة تحول المسيحية إلى دين رسمي للإمبراطورية:¹ وتم ذلك عبر الاعتراف بها دينا مشروعا بعد أن لم تكن، ثم اعتناق الإمبراطور قسطنطين الأكبر لها سنة (306 - 337). ثم جعل قدس عاصمة لها، ثم جعلها دينا سميا للإمبراطورية 383 ثم الغرب.²

رابعاً: فترة الانقسام إلى أكبر كنيستين:³ مثلت فترات تبني الإمبراطور للمسيحية منحى تاريخاً للديانة، حيث تمت إعادة بناء الفكر المسيحي وفق الثقافة البيزنطية الرومية واليونانية القسطنطينية الشرقية، (330 - 1453)، وامتازت بمعالمها الفارقة في إدارة الكنيسة والتبعية وفي تبني مفهوم العقيدة والطقوس، ويرون أنهم الممثلون لعيس روحيا في إيصال البشارة العيسوية، ويدعى رئيسها بالبطريق، أو الأسقف. وفي المقابل فإن للكنيسة الغربية الكاثوليكية امتازت بسيادة الباباوات والقيادة الروحية وبصيغ معينة لأداء العبادات والطقوس الدينية، وهي تابعة لروما وأن البابا هو وريث المسيح معصوف تجب طاعته.

يذكره أبو زهرة نقلا من كتاب خلاصة تاريخ المسيحية في مصر: (كنيسةنا المستقيمة الرأي التي تسلمت إيمانها من كيرلس وديسقوروس، ومعها الكنائس الحبشية والأرمية والسريانية الأرثوذكسية) عرف قديما بالكنائس الشرقية، أو المذهب يعقوبي⁴ تعتقد أن الله ذات واحدة مثلثة الأقانيم: أقنوم الأب وأقنوم الابن وأقنوم روح القدس، وأن الأقنوم الثاني أي أقنوم الابن تجسد من الروح القدس، ومن مريم العذراء، مصيرا هذا الجسد معه واحدا واحداً وحدة ذاتية جوهرية منزهة عن الاختلاط والامتزاج والاستحالة، بريئة من الانفصال، وبهذا الانفصال وبهذا الاتحاد صار الابن المتجسد طبيعة واحدة من طبيعتين،

¹ فتاح، نفس المرجع. ص 61 - 74.

² فتاح، نفس المرجع. ص 61.

³ فتاح، نفس المرجع. ص 74 - 81.

⁴ مصطلح (الأرثوذكسية) عرف قديما باسم (الكنائس الشرقية أو المذهب يعقوبي) ينظر: شلي، المسيحية، ص 193 فما بعد.

ومشيئة واحدة). وتعتقد الكنيسة اليونانية الأرثوذكسية والكنيسة الكاثوليكية¹ بأن للأقنوم الثاني طبيعتين و مشيئتين.

خامساً: المسيحية في العصور الحديثة:² صاحبت الحركة الإصلاحية في القرن السادس عشر والسابع عشر نظريات ومذهب فكرية وفلسفية جديدة، غيرت نظرية أرسطو، فظهرت نظرية نيوتن (ت 1707م)، وظهرت فلاسفة عقلانيين (ديكارت 1650)، وفلاسفة تجريبيين (جون لوك 1705، وديفيد هيوم 1776)، وفلاسفة نقديين (كانت 1804)، ومن أكبر التحديات التي واجهت الفكر الديني فلسفة هيغل: جدلية الصراع بين الأضداد، وغدا الكتاب المقدس موروث ثقافي واجتماعي لا مرجعية مطلقة. كما واجه الفكر الديني فلسفة داروين: التطور البيولوجي. فسحبت كارمة الإنسان أو النظرة التقديسية له من حيث كونه أفضل المخلوقات. والتحديث الثالث هو الثورة الصناعية، الذي أتى على أنقاض الدين، نتيجة الحداثة والعلمانية. واتقسم الفكر الديني حذاء هذه التحديات إلى رفض مسمى العلم على حساب الإيمان، في حين عمل البعض على القول بالأخذ بالاثنتين وأن لكل مجاله.

و) المجامع الكنسية:

ومما تطرق إليه المرحوم هو إلقائه الضوء على مسمى المجامع الكنسية، وهي عبارة عن سلسلة لقاءات بين رؤساء الكنيسة وأصحاب القرار فيها: أساقفة، قساوسة وبطارقة، من أجل تقرير قواعد الإيمان ودراسة القضايا، ولعل لذلك علاقة بالمجلس الأعلى لليهود المعروف ب"السنهدرين". واكتفى المرحوم ببيان مجمع نيقية 325، وكان الغرض الأول منه دراسة "البدعو الآريوسية"، ومجمع أفسوس 431، الذي هدف إلى رد رأيه حول

¹ الكاثوليكية هو الاسم الجديد المعاصر، بدلا من الملكانية أو الملكية. انظر: المصدر السابق، الصفحة نفسها.

² فتاح، المرجع السابق. ص 158 - 170.

الطبيعة الواحدة، حيث رأى أن طبيعة عيسى إنسانية، وطبيعة الله إلهية فهو طبيعتين ومشيتين، وردّ رأيه ونفي. ومجمع خلدونية 451، وسببه النزاع الكبير حول طبيعة المسيح، وتم فيه الإقرار بالطبيعتين. وكذا تحدث عن مجلس الفاتيكان الثاني 1962 - 1965، وعقد بدعوة من البابا يوحنا الثالث والعشرين، لغرض التوفيق بين الخلافات الداخلية للعقائد المسيحية، وفتح صفحة جديد مع الأديان الأخرى، اليهودية خاصة، وأنه آن الأوان لتكريس مبدأ التعددية وحوار الأديان. يجدر بالذكر أن سبب اكتفاء المرحوم بهذه المجامع الكنسية دون غيرها يرجع إلى ما كان لها دور في تقرير الثالوث وتبنيه.

ولعله لا جديد في هذا من منظور كتابات علماء المسلمين المعاصرين عن النصرانية، حيث تحدث عنه أبو زهرة في المحاضرات في النصرانية، وكذا الشلي الأعظمي.

(ز) موضوعات أخرى متفرقة:

واشتمل الكتاب إلى جانب التركيز على العقيدة، وأهم المراحل التاريخية في الديانة على جملة موضوعات مهمة في الفكر الديني المسيحي، منها ما يأتي:

الزهد:¹

تحدث المرحوم عن تشجيع المسيح والإنجيل لظاهرة الزهد والتقشف بحب الفقر الإرادي والابتعاد عن الزواج. وبين دور أنطوني في تحول هذا المبدأ إلى حركة ذات تأثير، ومن ثم دور رهبان المدن والحوضر. وأنها شاعت في القرن الرابع، وانتشر في المدن، وبدأ بعض الطبقات الاستقرائية استغلال الرهبان والمتزهدين، وقد نوقش أمر تهذي الرهبنة وإرجاه الهيبة إليها في مجمع الفاتيكان الثاني.

¹ فتاح، نفس المرجع. ص 100 - 113.

الأسرار السبعة في المسيحية:¹

هي مظاهر خارجية لأفعال مخصوصة تجسد نعمة إلهية خفية ومستورة مجلبة للنعمة بذاتها، وليست مجرد طقوس، يمارسها أتباع الكنيسة الكاثوليكية والأرثوذكسية.² وهي سبعة عند الكنيستين المذكورتين:

1. التعميد: سمة الدخول في المسيحية، بديلا عن الختان، وهي عادة قديمة في الشعوب والعادات القديمة. ومعمول بهذا في كل الفرق النصرانية.
 2. عشاء الرب: وهو عبارة عن مائدة النعمة عند الاحتفال بعيد الفصح، ويؤكل فيه الفطير غير المطبوخ. وهو قديم موجود في اليهودية.
 3. تكريس المعمود: وهو تأكيد ما مضى. وكان مرة في الطفولة، إلا أنه في القرن السادس عشر صار سرين منفصلين ومتمايزين.
 4. التوبة وطلب الغفران: وسره انتقال السلطة الروحية من المسيح إلى الحواريين والتلامذة.
 5. رسامة الكهنوت المقدس: وهو سر العاترف بأهلية من تأهل من كبار رجال الكنيسة.
 6. نظام الزواج المقدس: وهو لمخالفة العادات اليهودية في الزواج والطلاق، ويثبت الإنجيل قداسة الزواج وأنه لا يحل أبدا بعد أن يعقد، بخلاف شريعة موسى التي تقر بالطلاق.
 7. والمسح بدهن الزيت: تبنيها لعادة يهودية ثابتة في التمسح بدهن الزيت الزيتون في المناسبات الكبيرة.
- أما البروتستانتية فتقلو باثنين فقط: التعميد والعشاء الرباني.

¹ فتاح، نفس المرجع. ص 113 - 132.

² فتاح، نفس المرجع. ص 113.

ويلاحظ أن هذا الموضوع قد تناوله علماء المسلمين المعاصرين عن النصرانية، حيث تحدث عنه أبو زهرة في المحاضرات في النصرانية،¹ وكذا الشلي² الأعظمي.³

الحركات الإصلاحية:⁴ وهي النداءات التي دعت إلى ضرورة إجراء تغييرات في نظام الكنيسة وإدارتها لقضايا الدين باسم الدين، وذلك إبان القرن السادس عشر. وارتبط الإصلاح بمارتن لوتر (1482 - 1546) لأسباب فساد الكنيسة وأنه الخلاص لا يحتاج واسطة كما يرى، فأنكر الكثير من الطقوس والممارسات الكنسية.

ويلاحظ أيضا أن هذا الموضوع قد تناوله علماء المسلمين المعاصرين عن النصرانية، حيث تحدث عنه أبو زهرة في المحاضرات في النصرانية،⁵ وكذا الشلي.⁶

أهم سماته المنهجية وإضافته في دراسات المسلمين للنصرانية:

لعل السمة الغالبة في كتاب المرحوم هو المنهج التاريخي الوصفي. ويقصد به دراسة الأديان ووصفه كما هو عند المنتسبين إليه دون الرد أو النقد والقدح في ذلك الدين. وكذا يتضمن ذكر تاريخ الدين ودراسته من الناحية التاريخية كأحداث، وذكر خصائص الدين كما هو.⁷

¹ أبو زهرة، محاضرات في النصرانية، ص 115.

² شلي، المسيحية، ص 171 - 173.

³ لم يتحدث عن كل الأسرار. الأعظمي، دراسات في اليهودية والمسيحية وأديان الهند، ص 381-384.

⁴ فتاح، النصرانية نشأتها التاريخية وأصول عقائدها. ص 131 - 158.

⁵ أبو زهرة، محاضرات في النصرانية، ص 147 فما بعد.

⁶ شلي، المسيحية، ص 257.

⁷ الشرقاوي، بحوث في مقارنة الأديان، ص 17.

جدير بالذكر أنه قد سلك القرآن في تناوله للنصرانية المنهج التاريخي الوصفي بهذا المفهوم. فهو منهج إسلامي أصيل، يقصد الباحث بهذا أن لعلماء المسلمين قدم سبق في إتباع هذا المنهج، فهم الذين أسسوا وقعدوا أصول هذا المنهج على وتيرة إسلامية بحتة. فقد كتب علماء المسلمين في نشأة الديانة، وأسفارها، ومؤسسيها، وفرقها، ومقالاتها، ومن العلماء الذين يذكرون في هذا السياق النوختي (202هـ) في الآراء والديانات، والمسعودي (346هـ)، و المسيحي (420هـ) درك البغية في وصف الأديان والعبادة، ويذكر هنا مؤلفات الملل والنحل للبغدادى وابن حزم والشهرستاني. وغيرهم كثير.

ولنضرب مثلاً على ما قام به الشهرستاني (548هـ) كنموذج حي في بيان منهجه. يقول في مقدمة كتابه: " وشرطي على نفسي أن أورد مذهب كل فرقة على ما وجدته في كتبهم من غير تعصب لهم ولا كسر عليهم دون أن أبين صحيحه من فاسده وأعين حقه من باطله وإن كان لا يخفى على الأفهام الذكية في مدارج الدلائل العقلية لمحات الحق ونفحات الباطل".¹

ولعل المنهج التاريخي والوصفي بهذا المفهوم يختلف نوعاً ما من المنهج السائد اليوم في الغرب، والمعروف بالمنهج الظاهراتي (Phenomenology)، فيفتقان في طريقة العمل: دراسة خصائص الدين التي تسكن خلف تحليلاته التاريخية، ويختلفان في أن المنهج الغربي قامت على مسلمة ومقدمات تنقض الإيمان الديني، لاعتقادهم وإيمانهم بوجهة نظرية خالصة عن الدين، انطلاقاً من تسليمهم لنظرية التطور العضوي،² بينما المنهج الإسلامي قائم على فكرة استقلالية الدين، وجدارته بالإتباع.

¹ الشهرستاني، الملل والنحل، ص 14.

² انظر: فتاح، المرجع السابق. ص 20.

لكن لوحظ على الكتاب وهو يسرد معلومات تاريخية عن النصرانية بهذا المنهج التاريخي ما يلي:

- التأثير بموقف القرآن المسبق حول الديانة.
 - والتأثر تبعا لذلك بموقف علماء المسلمين لدراسة الأديان.
 - ومن هنا يشم المنهج النقدي في هذا العمل القائم على المنهج التاريخي الوصفي. واتضح ذلك لدى حديثه عن التثليث، وعن الصلب والفداء، وعن ألوهية المسيح، وعن حقيقة الإنجيل، بل وما أيد هذا كله بدور بوسل في تغيير النصرانية وفق الكتابات الإسلامية.
- وهذا الأمر يفتح موضوعين اثنين:

أولهما قضية الموضوعية في دراسة الأديان:

والموضوعية مصطلح يستخدم يقصد به حصر أطراف الموضوع، والتركيز على موضوع البحث، وبيان الحقائق والنتائج التي يؤدي إليها البحث، سواء خالف وجهة نظر الباحث أو وافق.¹

يبين أنيس مالك طه أن مفهوم الموضوعية في الغرب يعني أن لا يتأثر الباحث بدينه أو فكرته وهو يتحدث عن دين آخر. و يعقب بأن هذا الأمر غير ممكن أو مرفوض، بينما الموضوعية في الفكر الإسلامي مرتبط بالموضوع وإعطائه حقه، وهو كذلك منبثق من العدالة، والناس مأمورون بها في جميع نواحي حياتهم. و أكد أنيس مالك طه في مقالته عن الموضوعية أن الفاروقي يرى أن الحكم وإصدار الرأي ليس شيئا مرغوبا فقط، بل أمر لا بد منه. ذكر هذا ليبين أنه لا مناصه من بيان الحكم في دراسة الأديان؛ خلافا

¹ مناهج البحث، من منشورات جامعة المدينة العالمية، تحت رقم 1033، ص 29.

لدعوى علماء الغرب في ذلك.¹

يرى محمد سعيد رمضان البوطي أن الإسلام هو الذي أمر بالموضوعية، فالدين هو العامل الأول لإخضاع الفكر الإسلامي لمنهج دقيق في البحث، نجد ذلك واضحاً في مثل قوله تعالى في سورة الإسراء: ٣٦. وهكذا وجد الفكر الإسلامي نفسه أمام مهمة دينية، هي ضرورة البحث عن الحقيقة، سواء كانت من قبيل النقول أو الدعاوى، وبدهي أن القيام بهذه المهمة يتوقف على وضع منهج للبحث. ومعلوم أنه بقدر ما تكون الغاية صافية سليمة لا حكم فيها إلا للعقل وحده، يكون المنهج إليها صافياً سليماً أيضاً، لا يخطئه إلا العقل وحده. فمنهج الإسلام ينحصر في " إن كنت ناقلاً فالصحة أو مدعياً فالدليل".²

وهذا يقودنا إلى بيان إضافة المرحوم في الحقل.

ثانيهما: جديد المرحوم ومساهمته في دراسة الأديان عموماً والنصرانية خصوصاً:

ومن هنا يكمن إضافة المرحوم لا في إعادة ذكر المعلومات المعروفة في الديانة المسيحية فحسب، بل وفي إعادة تقسيم ذلك باقل نبرة نقد ممكن قياساً على المنهج النقدي الكلامي الصارم في التراث الإسلامي. ولعل السبب في ذلك هو تأثر المرحوم بالدعوات والنداءات المعاصرة إلى ضرورة الحيادية والتقييد بالموضوعية والابتعاد عن منهج الجدل والمخاصمة. ومن هنا فإنه تعريفه بالنصرانية كان أشد حدة وصراحة مقارنة بأعمال الشلبي وأبو زهرة والأعظمي، بل ولعل أعمال الفاروقي قائم على الأمر نفسه، فهو متأثر بدعوات الموضوعية الغربية، كما أنه مؤمن بموقف القرآن والفكر الإسلامي من النصرانية،

¹ انظر: Thoha, Anis Malik, " [Objectivity and the Scientific Study of Religion](#) " in *Journal of Intellectual Discourse*, V.17, No1, 2009, pp.83-93.

² بتصرف من: البوطي، محمد سعيد رمضان، *كبرى اليقينيّات الكونية* (دمشق: دار الفكر، الطبعة الثامنة، 1997). ص33-34.